للقائها ، وأصبحت على مقربة منى ، سيدة بسيطة المظهر ، قصيرة ، رقيقة الخطو ، آسرة البسمة ، ابيضت خصلة من شعرها فوق الجانب الأيمن من جبينها العريض ومددت لها يدى ، بينما عيناى على عينيها المتخمتين ذكاء وثقافة واصرارا ، بادلتها كلمات الود والابتسام ، ثم تابعتها ببصرى حتى نهاية الصف الطويل ، الى أن عادت لتجلس على أحد المقاعد المتناثرة وسط القاعة ، كنت قريبا منها عندما انزلق شالها الحريرى الأبيض ، فسقط على أرض القاعة ، توقعت أن تنحنى احدى السكرتيرات أو المعاونين لالتقاط الشال ، لكن أحدا منهم لم يفعل ، انحنت انديرا فى هدوء والتقطت شالها ، ثم نفضته بكلتا يديها ، وطوته كما كان ، وأعادت به تطويق كتفيها ، وهى مستمرة فى الحديث مع واحدة من أعضاء الوفود •

« كان لابد أن تكونى هذه المرأة الرائعة التى أراها الآن ، بعد سنوات النضال الى جوار أبيك ، فى البيت والشارع والسجون ، وبعد سنوات المجد الى جوار معلمك الحكيم الأسطورة ، مسيح الهند ومخلصها العظيم « بابو غاندى » ، لتقودى من بعدهما مئات الملايين من ضحايا السنين الكالحة السوداء ، بعد رق المهاراجات واستعباد البراهمة لشعبك الكادح الطيب ، وبعد ملاحم الاستعمار الدنس ، تنكيلا واذلالا وقتلا ونهبا لثروة الجائعين والمرضى من أبناء الحضارة العريقة ، عظيمة وأنت تحملين طبقك الفارغ ، وتذهبين معنا لتأتى بعشائك من فوق المواقد ، عظيمة وأنت ترحبين بكل منا ، وتسألينه عن أية عقبات قابلته فى الهند لتذليلها ، ثم وأنت تستأذنيننا ببساطة مذهلة ، لكى تنصرفى الى اجتماع لمجلس الوزراء » •

وعدنا الى الفندق ، استقبلنى أصدقائى مندوبو وزارة الاعلام الهندية ، الذين يعملون بمكتب خاص بالفندق لخدمة الوفود ، سألنى أحدهم :

ـ فيم كنت تتحدث وتمرح مع مسز « انديرا » ؟

حدقت فيه مندهشا ، هل كان متخفيا بيننا فى حفل العشاء ؟ هل الضبوف هنا مراقبون لسبب أو لآخر ؟ لكن موظف الاستقبال بالفندق أقبل مهللا من بعيد :

ـ لقد رأيناك على شاشة التليفزيون ، منذ بدأ الحفل حتى سقط الشال من على كتف رئيسة الوزراء •

ذات ليلة ، وقد اقترب موعد السفر ، أحسست بأن مغادرة تلك البلاد أصبحت شبحا كئيبا •